العدد (4136) السنة الخامسة عشرة - الخميس (15) شباط 2018
http://www.almadapaper.net Email: info@almadapaper.net

السويدي روبين أوستلوند ومربّعه صوب «الأوسكار»

عرفان رشيد

بعد بضعة شهور من فوزه بسعفة مهرجان «كان» الذهبية وعرضه في مهرجانات العالم، من بينها مهرجان دبي السينمائي الدولي، وقبيل الإعلان عن الفائز الرسمي لجوائز الأوسكار، التي يُتوقّع أن يفوز بها هذا العام، بدأت صالات السينما الإيطالية بعرض فيلم « المربّع» للمخرج السويدي روبين أوستلوند.

وقد قوبل الفيلم خلال عرضه في مهرجان «كان» بترحاب كبير من قبل النقد واستحقّ الجائزة الكبيرة، لجودته ولكون اسم مخرجه تكرّر في قوائم مسابقات عديدة أخرى مُذْ بدأ مشواره السينمائي، مخرجاً ومُنتجاً، في عام ٢٠٠٤، وكان آخر ناله هي جائزة مسابقة « نظرة ما » في الدورة الثامنة والستين من مهرجان « كان » عن فيلمه «فورس ماجّور» - ظروف قاهرة -، والذي تميّز، هو الآخر، كما يقول أوستلوند نفسه، بكونه "رحلة ما بين الكوميديا الساتيرية والدراما". وحافظ أوستلوند في عمله الأخير أيضاً على الأصرة الغامضة بين هاتين الرؤيتين إلى الحياة والأشياء.

تدور حكاية الفيلم حول ناقد تشكيلي مُختص بتنظيم معارض الفن المعاصر إسمه «كريستيان». يحظى الناقد بتقدير واحترام كبيرين في مجال تخصّصه، وسيحمل المعرض المقبل الذي يُعدّ لإقامته عنوان «المربّع»، وهو عبارة عن تشكيل بنائي يحضّ البشر على تفضيل الإيثار، واضعاً الجميع أمام مسؤولياتهم. لكن أحداثاً تقع في مسار الفيلم تُظهر صعوبة العيش وفق المبادئ التي يؤمن بها ويدعو إليها.

ويتزامن في لحظة واحدة حدثان يقلبان رأساً على عقب حياة «كريستيان» الهادئة رُغم المشاكل الحياتية التي يواجهها، فمن جانب يتعرّض إلى السرقة، ومن جانب آخر. يثير الشريط ردة فعل عارمة من قبل الإعلام، لم يكن يتوقعها « كريستيان » أو يترقّبها.

كل ذلك يدفع كريستيان، الهادئ والواثق من نفسه، إلى اقتراف خطايا تلو الأخرى، أعسرها ما يقترفه أمام ناظري ابنتيه الصغيرتين.

يعرّي روبين أوستلوند شخصيته الرئيسية، «كريستيان» وأبطاله الآخرين أمام الملأ في ساحة مفتوحة المداخل. وتتحرّك تلك الشخصية، ومجاوراتُها، في فضاء مفتوح، لكن دون القدرة على الخروج من السياج المربّعي الذي يؤطّر حياتها، فأينما ولّى «كريستيان » وجهه، وجد نفسه أمام ذات المساحة وذات الزاوية، فـ "أضلاع المربع وزواياه متساوية ومتوازية". لكن هل يقود ذلك التساوي وذلك التوازي إلى تساوٍ بين البشر وإلى توازٍ ما بين ما هم عليه وما يطمحون إليه؟

ذلك هو السؤال الذي يطرحه المخرج عبر « كريستيان » وبنائه الفني الذي يُشيّده كمعرض للفن المعاصر في المتحف الذي يُديره. ولغرض تشييد القطعة الفنّية المعاصرة يتم هدم وإزالة تمثال كلاسيكي منصوب في منتصف الساحة. إلاّ أنّ التشكيل المعاصر الجديد يعجز عن نيل القبول المطلق من قبل النقد، فيما تسعى الصحافة إلى التنقيب في التناقضات التي ميّزت تصريحات « كريستيان » وتقديماته للمعارض، وصولاً إلى مواجهة بينه وصحفية بريطانية تطالبه بتفسير معاني مقطع غير مفهوم في تقديمه لأحد الأعمال الفنية، فيجد كريستيان نفسه ضائعاً إلى درجة التساؤل عن حقيقة ما إذا كان قد كتب تلك الجمل بالفعل أم لا.

ليست « الطيبة » إلاّ سلوكاً بشرياً مقترناً باللحظة التي يمرّ بها المرء، ولا تصبح هذه «الطيبة » خصلة طبيعية ودائمة إلاّ إذا ما اقترنت بالأداء الطيّب المتواصل فعلاً، وإذا ما أردنا اكتشاف طيبة إنسان ما ينبغي علينا رؤيته في لحظات تعرُّض مصالحه

الشخصية إلى الخطر، بصرف النظر عن مقدار ذلك الخطر. وهذا ما يحدث لـ « كريستيان »، فهو، وإنْ كان مقتنعاً تمام الاقتناع بضرورة السلوك الطيب وبعدالة القضايا الكبيرة، يتهاوى أمام أول اختبار، وهو، برُغم التزامه بقضايا مجتمعية كبيرة وقيادته لسيارة كهربائية لا تلوّث البيئة، لا يتردّد من إزاحة وتدمير نُصب قائم، لتحقيق تشكيله الفني الجديد. هو أبٌ حريصٌ على منح طفلتيه كل الحنان المطلوب رُغم كونه مطلّقاً من زوجته، لكنّه لا يتردّد عن اقتحام مغامرات عاطفية أو لقاءات جنسية عابرة تخلقها اللحظة. وهو مع العدالة في توزيع الثراء والتعامل الإنساني مع الفقراء والمهاجرين، لكنّه لا يتردّد من استخدام المتسوّل المُعدَم كخادم في لحظة الحاجة. هو مناهض لتوصيف المهاجرين باللصوصيّة، لكنّه لا يتوانى عن اتّهام المهاجرين باللصوصيّة عندما يتعرّض إلى سرقة هاتفه المحمول ومحفظة النقود من جيبه، من قبل سُرّاق محترفين، بيض البشرة وشُقر الرؤوس. وهو أيضاً العاجز عن الاعتذار وتلبية طلب صبي مهاجر تعرّض هو وعائلته إلى الإهانة المجتمعية بسبب بيان مطبوع وزّعه «كريستيان » في الحي الذي يُتوقّع أن يسكن فيه سُرّاق هاتفه المتنقّل.

وهو أيضاً، ورُغم عاطفته العميقة مع إبنتيه، من لا يتورّع عن عنف تجاه الصبي الذي لم يُطالبه إلاّ بالاعتذار عن التهمة التي ألصقها به وبعائلته.

يقول أوستلوند عن فيلمه الأخير " بالضبط كما كان الحال لفيلمي السابق « ظروف قاهرة »، فإن فيلمي الجديد « المربّع » هو عبارة دراما ساتيرية، أردت من خلاله إنجاز فيلم أنيق، بإمكانيات بصرية وخطابية قادرة على تحريض المشاهد وإمتاعه في آن "، ويُضيف " كفكرة، يتحرّك الفيلم ما بين موضوعات عديدة، من بينها المسؤولية والثقة، الغني والفقير، السلطة وفاقدي السلطة، تنامي القناعات لدى الأشخاص واندثاره لدى المجتمع. وريبة الدولة تجاه الإعلام والفنون".

« المربّع » عمل كثيف وعميق بإيقاع حيوي بتواصل، تمكّن المخرج خلاله من تحقيق تجاور جميل ما بين مأساوية الحالة واللمسات الكوميدية، ويظهر ذلك بجلاء في مشهد « ثورة » شخصية أحد أعمال الفيديو آرت المعروضة في المتحف، حين يخرج «المودليل» من إطار العرض، ليُثبّت قانونه الشخصي ويطالب بما سُلب منه عبر وضعه صورةً فحسب فوق جدار عارض.

كلاكيت

▪ علاء المفرجي

كارل ماركس الشاب

فيلم لايعتمد الصورة النمطية لماركس كما عرفناها بالكتب صورة انسان ملتحي ذو نظرة صارمة وباردة، تحيل الى الفلسفة، أو الى الفترة التأسيسية للشيوعية التي سيكون لها دور كبير في إعادة تشكيل المشهد الفلسفي و الفكري للعالم

فمن أجل فهم أفضل لعصر معين ، وتبصّر مباشر في التاريخ . حين نتعرف على سيرة شخصية ما ، فإننا نخبّر عصراً بأكمله . قال نيتشه عن غوته : ((إنه حضارة بأكملها)) . وغوته مثل سائر الرجال العظام هو كناية عن إستشراف وتوجه بالنسبة لنا.

غالبا ما تكون السيرة شاملة ، إذ يكون لديك حياة ،أفكار ، جوهر شخصية ، كلها في مكان واحد . وحياة فرد تكشف عن حقائق كونية عن الحالة الإنسانية . فالسيرة تنقص من إسطورة الشخصية ، فتجعلك تراها على مستوى إنساني أكثر ، في ضعفها، وكذلك في تألقها ..

هكذا هو الحال مع فيلم (كارل ماركس الشاب) للمخرج راؤول بك، الذي يتناول جانبا من سيرة ماركس في مرحلة الشباب وهو يخوض بمسعاه الفكري الذي سيكون لها اثر مهم في التاريخ الانساني..

يبدأ الفيلم بمشهد لعدد من الفلاحين في الراينلاند، يقومون بسرقة الحطب من الغابة للتدفئة، فيكون مصيرهم القتل، حيث السادة على خيولهم، هذه الحادثة ستكون محور النقاش المستعر في مقر احدى الصحف التي يعمل بها ماركس، والذي ينتهي النقاش والمشهد باعتقاله، وهو ما سيتكرر على امتداد زمن الفيلم.. وفي مشهد متوازي نكون في لندن حيث اضراب العمال في احد المصانع التي يملكها والد انجلز حيث النقاش بين المضربين وادارة المعمل بحضور انجلز ووالده، والذي ينتهي بطرد عاملة ايرلندية ثورية، ستكون فيما بعد زوجة لانجلز. وحيث يقود البوليس الصحفي الشاب ماركس، يسقط انجلز مغشيا عليه بفعل ضربة من احد العمال.

ونتعرف على تفاصيل علاقته بزوجته جيني الارستقراطية، التي آمنت بافكاره ووقفت الى جانبه في تربية ابنائه في ظروف بائسة ، فنراها ترد قبله في نقاشه مع قادة الاشتراكية الفرنسية ومنهم برودون.واختارت المعاناة مع زوجها.

بهذين المشهدين نتعرف على شخصي ماركس وانجلز اللذان سيرتبطان بعلاقة صداقة متينة، ونتعرف على العصر الذي عاشه ماركس ورفيقه. من دون تلك الصورة التي انطبعت في ذاكرتنا عنهما، فسنرى عبثهما وارتيادهما لمحل شرب وهروبهم من البوليس بسبب عدم حملهم الأوراق الأصولية.

وسيأخذنا المخرج بك الهاييتي الأصل الى مراحل تطور وعيهما وعملهما وعلاقتهما التي توثقت بموازاة ما كتبوه فماركس يمتدح انجلز على كتابه «حالة الطبقة العاملة في إنكلترا» ويعتبره تحليلاً عميقاً، بينما يعتبر انجلز ماركس أعظم الماديين في الفكر الفلسفي ، ويستمر الاثنان في نضالهما الذي لايستكين والذي تبرز ثماره في كل مكان، فيكتب ماركس كتاب (بؤس الفلسفة) رداً على كتاب (فلسفة البؤس) ..

الفيلم يجتزئ جانباً مهماً من هذه السيرة التي ينهيها بتأليف (البيان الشيوعي) علم ١٨٤٨ وهو الإنجاز الاهم الذي يحققه ماركس وانجلز في مرحلة الشباب، والذي سيستمر بتأليف كتاب (رأس المال) الذي لم يكمله وسيتولى رفيقه انجلز ذلك بعد وفاته.

أجمل ما في هذا الفيلم الذي اعتمد على سيناريو محكم وممثلين أجادوا الاداء في اللقطات الوثائقية في نهايته التي تضمنت مشاهد من نضال شعوب وشخصيات ثورية كان لفلسفة ماركس أثر كبير فيها ، غيفارا، ونيلسون مانديلا، ومظاهرات الفلسطينيين في القدس، وأيضا وول ستريت والكساد الاقتصادي بل وفشل الرأسمالية.

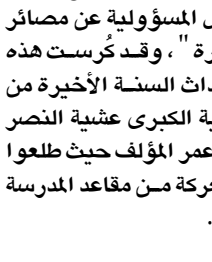

غالبا ما تكون السيرة شاملة ، إذ يكون لديك حياة ،أفكار ، جوهر شخصية ، كلها في مكان واحد . وحياة فرد تكشف عن حقائق كونية عن الحالة الإنسانية . فالسيرة تنقص من إسطورة الشخصية ، فتجعلك تراها على مستوى إنساني أكثر ، في ضعفها، وكذلك في تألقها ..

سقطت تفاحة ظني..إثارة الكثير من الاسئلة

شكر حاجم الصالحي

ما أن انتهيت من قراءتها حتى أدركت أن ما فيها يستوجب قول ما يكشف عن ثراء متنها ، فهي أنيقة المظهر جميلة الجوهر ، وكل ما فيها يحرّض على إثارة الاسئلة والملاحظات بصددها ، فـ (سقطت تفاحة ظني) مجموعة شعرية كما أشهر جنسها منتجها عدنان علي الذي أقرأ له لأول مرة - وهذا قصور مني - ولكن هل هي إصداره الأول ؟ أم سبقتها إصدارات شقيقة ؟ ومتى ؟ وستتضح الكثير من الدلالات من خلال هذا المرتسم الذي وضعته والذي يبيّن تواريخ إنتاج نصوصها .

إذاً فهل (سقطت تفاحة ظني) هي حصيلة كل ما أنتجه شاعرها ؟ أم هي نصوص منتقاة من بين ما كتبه وقدمها كنماذج أثيرة في نفسه لكي يضعها في متناول القراءة والجدل المنتج ؟ لكن المدهش أن عدنان علي ذيّل نصه الوحيد

مكتمل بخرابي بزمان ومكان انتاجه (١٩٩٦/٥/٢٠ - ليبيا - أوباري) وترك بقية نصوص المجموعة بلا توثيق مكاني كما فعلها مع مكتمل بخرابي . فهل أراد بذلك أن يشير الى بداياته الشعرية ؟ أنا شخصياً لا أظن ذلك ، لسبب جوهري وهو إن هذا النص فيه من الشعر والمهارة ما يكشف عن أنه ليس من بدايات الشاعر ، ويختار بعد خمس سنوات نصاً واحداً هو (لغة السراب) ليضمه الى المجموعة ، في حين يلمس القارئ أن ذروة الانتاج الشعري تتصاعد في سنة ٢٠١١ ، فينشر تسعة عشر نصاً ، ويستمر تذبب تواريخ الانتاج الذي تنتهي بنصين في سنة ٢٠١٥ ، رغم أن المجموعة صادرة في أواخر سنة ٢٠١٧ ، بمعنى آخر إن الشاعر عدنان علي لم يكن مهتماً بنشر ما ينتجه بدليل صدور هذه المجموعة في هذا التاريخ المدون على غلافها الداخلي ...

على أية حال إن (سقطت تفاحة ظني) وليست تفاحة نيوتن ، مجموعة نصوص تمتلك قدرتها في حضور القراءة في المشهد الشعري الملتبس وإثارة العديد من الاسئلة والملاحظات ، وهي في مجملها تؤكد على أن العراق يظل ديوان الشعر العربي بنماذجه المتقدمة والمشرقة ، التي تضعه في الصدارة على الدوام ، وما هذه المجموعة إلا إحدى فرائد السلسلة الذهبية في جيد شعرنا الراهن ، ولابد من التنويه أن النصوص الـ (٣٩) التي ضمتها (سقطت تفاحة ظني) تتماثل في سلامة لغتها وجمال صورها وانسانية مضامينها فهي لشاعر عراقي اكتوى بنار الحروب والحصارات والمنافي والحرمانات على امتداد تأريخه الطويل ، ولا ميزة لنص على نص آخر إلا بما يثيره في النفس من مواجع ، وهذا ما يؤكده نص (فراشات الموت) ص ٧٥ والذي يؤرخ فيه عدنان علي لواحدة من عدوانات الأشرار على وطننا الجميل.

نلاحظ هنا حجم السخرية في هذا النص فالغارات شنتها فراشات أميركية ، كانت (تنث عطوراً) و (موسيقى هادئة) ... لم تخطئ مرعى أو حقلاً زهوراً ... وتتصاعد سخرية الشاعر بقوله (لم تفزع طفلاً) أو (تهرس عذراء) وتلك هي قدرة المبدع في توصيف الوقائع التي تشير الى همجية الآخر واستهدافه لكل ما هو جميل في هذا البلد المبتلى ، لكنه أي الشاعر كان يرى بحدسه و وعيه وصدق انتمائه لعراقه غير ما يراه المرجفون والعدوانيون : (في العتمة يخضّر الدود / و أسود عفنة تزأر / وحماقات عابرة / من ماضٍ موحش) في هذا المقطع لخص عدنان علي جوهر أشكالية العداء لهذا الوطن المتراكم من أزل الدهور الموحشة وضغائن الماضي الأسود ...

الطلقات الأخيرة.. ما عرفناه عن الحرب

مراجعة: المدى

الحرب تلك الرمال التي تبتلع الجمال ، والعشق ، والشباب ، والثقافات ، حتى إنها تبتلعُ كل ما يوحي بالعيش والطمأنينة وكل ما من شأنهُ بث الحياة ، فعلى مدى طويل ومنذُ أجيال مضت وأُخرى آتية لم تكن الحرب حلاً لقضايا البُلدان بقدر ما كانت سبباً في هلاكها ودمارها وتشرّد أطفالها ، لم تخلف الحروب سوى الأمراض الإجتماعية والوعكات الثقافية والعاهات الفكرية البشرية ، والنساء الثكالى والأطفال ذوي النظرات الشاخصة المُرتعبة ، وهذا ما ناقشتهُ رواية "الطلقات الأخيرة" للروائي يوري بونداريف التي صدرت عن مؤسسة المدى للأعلام والثقافة والنشر لعام ٢٠١٥، والتي ترجمها الكاتب والمترجم والروائي غائب طعمة فرمان .

وتشمل الرواية ثلاثة أبعاد دراسية وبحثية أولها حول الموضوع المُختار من قبل المؤلف والذي يُناقش مشكلة الحرب وما تتسبب به الحروب وما تترك خلفها من آثار ، والثانية مسألة الإسلوب والهيكلة الروائية التي تَبعها الكاتب والذي إعتاد على الإستعانة بخبراته الشخصية كما فعل في رواية " الكتائب تطلب النار " حيث إرتكز بونداريف حينها على تجاربه الشخصية في مجال الحرب والسلام ومن أجل الدفاع عن الوطن ، أما البُعد الثالث في هذه الرواية يكمُن في ترجمة المُترجم والكاتب غائب طعمة فرمان والذي وصل من خلال ترجمته إلى عُمق المعاني الفلسفية والإنسانية من ألم وحب ورُعب وطمأنينة تلك المشاعر التي جسدها بونداريف والتي إستطاع فرمان تجسيدها لأنهُ على ما يبدو إستطاع أن يتفهم ويعيش ويُجسد تجربة الكاتب .

وقد ناقش بونداريف في رواية " الطلقات الأخيرة " شخصية الفرد الروسي التي جسدها في بطل الرواية نوفيكوف الشاب الفتي الذي هُدرت حياتهُ خلال الحروب ، وإختصر بونداريف حكايات كثيرة من واقع الجنود خلال الصراعات النفسية التي يواجهونها في الحروب ، فهُنالك من خسر عائلة ، وهنالك من خسر إنتماء ، وهنالك من خسر عشق ، وهنالك من خسر هيبة البدلة العسكرية وآخرون خسروا مبادئهم ، وكانت الحرب بذلك نار تلوك الإنسانية والضمير والمشاعر ، وهذا بالضبط ما حصل لبطل الرواية الكابتن نوفيكوف الذي حاول جاهداً إخفاء مشاعره ومخاوفه الإنسانية آزاء زملائه ، حيث لا يتضمن قاموس الجنود مشاعر القلق على الآخر ، هؤلاء الأفراد الذين إقتاتوا وتربوا على الخراب والموت والجثث والنار والخوف فكانوا يتنفسون القلق ويتغذون على الطلقات ، وينامون على مرأى من الجثث ، كيف لهم بعد كل هذا التوحش الذي وجدوا معه أن يفكروا بمشاعر الآخرين أو مشاعرهم أو يظهروا مشاعرهم أزاء أحد ورُغم ذلك فإن العشق والحرب مُتلازمان فأنى تولد الحرب نجد العشق متواجد أما يولد على مرأى من الحرب أو يولد بعدها وأحياناً تولد الحرب لتجد العشق سابقاً إياها ، وعشق نوفيكوف ولينا اللذان فرقتهما الحرب بوعود مُعلقة على أمل لقاء آخر بعد أن تُطفأ نيرانها لم تُكتب لهُ حياة ، وعلى مرأى من عيون لينا التي كانت تحاول خياطة بدلة نوفيكوف العسكرية يرحلُ بطلها وعشقها الأبدي بقنابل العدوّ ودون أن يقول لها كلمة الوداع الأخيرة ، ذلك إن للحرب سُلطتها الأولى في إختطاف كُل شيء حتى أحلامنا وبهذا كانت أخر طلقات الحرب هي التي تخطف قلوب العاشقين ، وقد حاول الكاتب من خلال روايته ونقلاً عن لسانه " إيجاد الملامح النموذجية لإنسان جيلي ، فالضابط الذي أخذ في وقت مبكر يحمل السلاح ويقود الناس ويتحمل المسؤولية عن مصائر إنسانية كثيرة " ، وقد كُرست هذه الرواية لأحداث السنة الأخيرة من الحرب الوطنية الكبرى عشية النصر ، وأبطالها من عمر المؤلف حيث طلعوا إلى ميدان المعركة من مقاعد المدرسة مثلما فعل هو .